جداريـــــة نـــاظـــم رمـــزي

محمد سعيد الصكار

الموضوع :

أكبر جدارية في بغداد، في وقتها، والوحيدة فيها، عرضها ٤ أمتار، وارتفاعها ٦ أمتار . عمرها ستون سنة . رسمها فنان شاب يومذاك (بقول لي في اتصال تلفوني إنه ما زال كذلك !) ، على واجهة مستشفى الدكتور عبد الحميد فيضي ذات المكانة المرموقة بين المستشفيات الخاصة .

والجدارية موضع اعتبار واعتزاز لدى الفنانين ونقاد الفن العراقيين، فهي من نوادر الجداريات المعروفة في بلادنا . منفذة بالفسيفساء، ومنتجة في ايطاليا على أساس مصغر بحجم الجريدة، أعده الفنان بألوان الكواش (البوستر).

والفنان هو ذلك الإنسان الموهوب الذي أغنى تاريخنا الثقافي بما وهب . فهو الرسام والمصمم والخطاط ورسام الكاريكاتير، وشيخ الطباعين العراقيين، والمصور الفوتوغرافي الذي سجل بعدسته ملامح المجتمع العراقي، وهو، بعد، ذلك الإنسان المتواضع ذو الإنجازات الفنية التي لم تتوفر إلا للكبار من المبدعين . هو ناظم رمزي، الفنان العراقي الأصيل الذي تتعرض إحدى لوحاته التاريخية إلى الهدم والإلغاء . فصاحب البناية المتهالكة التي ما زالت الجدارية قائمة فيها، يريد تجديدها، أو إقامة بناء عليها، وهو حق لا حق لنا فيه .

ولكن لنا حقا في استنهاض همة أصدقاء ناظم رمزي، وهم من علية القوم، وكوكبة المعماريين القادرين على صيانة آثاره الفنية، وهو موضع تقديرهم، وما زالت علاقته بهم في أبهى صورها؛ ولعل صديقنا المشترك، الأستاذ باسل فيضي، سليل أسرة فيضي، ذات الشأن، وكذلك أخوه الدكتور عبد الحميد فيضي، صاحب المستشفى، ينهضان بإيجاد صيغة لحماية هذا الأثر، وعهدي بهما صديقين حميمين، حريصين على مواكبة التطور الفني في العراق الجديد، وصيانة معالمه .

على إثر سماعي بالخبر، اتصلت بالفنان رمزي، بلندن، للوقوف على تفاصيل الموضوع، والإجراءات الممكنة بشأنه؛ وطلبت منه الاتصال بالدكتور عبد الحميد فيضي، في أمريكا، لبحث إمكانية الحفاظ على الجدارية . فنقل لي قول الدكتور عبد الحميد بأن المستشفى بأكمله أمم، بل أن الجهات يومذاك (أوائل الثمانينيات) صادروا كل شيء، واستولوا حتى على (الدخل) ! ولم يعد له أي دور فيه، إلى اليوم.

وعندما علم الدكتور عبد الحميد بمسعاي في إثارة الموضوع، كتب رسالة إلى السيد المالكي، رئيس الوزراء؛ يسأله فيها إعادة النظر في موضوع المستشفى وجداريته، وهو في انتظار الجواب لعل فيه خيرا وإنقاذا للجدارية الجميلة التي تحمل صورة ابن الرازي في مختبره .

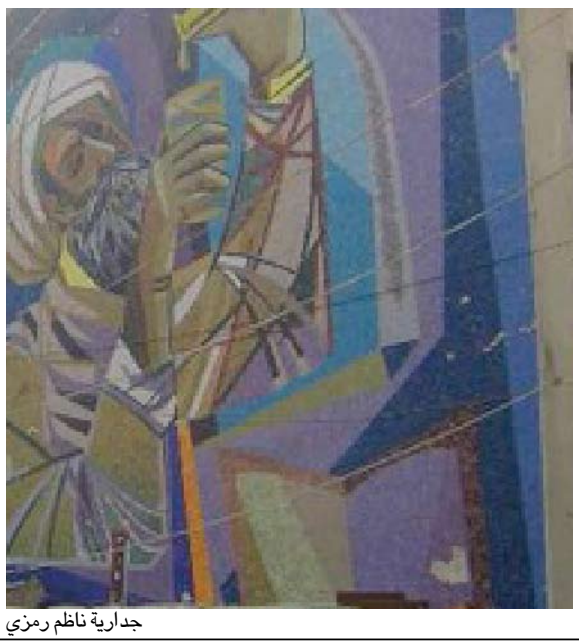

جدارية ناظم رمزي

أوَراقَ الحـــبُّ فـــي غيـــر مـوسمـــهِ؟

ياسين طه حافظ

هو هذا الطريق القديم نمرّرُ فوقه أسماءنا
ونخطّ عليه متاعبنا، كل حلمٍ غدا حطباً كل ريشٍ رمادْ.
عائدين شيوخاً من الصيد، ذاك الذي لم نصدْهُ،
وذاك الذي ظل هيكلهُ في اليدينْ.
وهي قاماتنا الشبحية توغلُ مائلة تتلمّسُ خطاً
يمرّ على شقّ تيهٍ بوسع ذراع يعجّلُ رحّالة دون أي متاعْ،
الطريق الذي صلبّتَهُ الخطى الذاهبات أمشي عليه
أُزيدُ صلابتهُ للذين يجيؤون من بعد – ماذا أرى؟!
ليس غير الطيور تحطّ على الشتلات الصغيرةِ،
فرَّت وما تركت أثراً لتحنَّ
ونحنُ بقينا عواطفنا معنا وعواطفنا القادماتُ
تريدُ إزاحة ما قبلها بجناح يحاولُ ألاّ يغيبَّها!
الطريقُ يُغيّب ما كان فيه، وما يستمرُّ مشوبٌ.
واني أحسُّ بشيء... وراء الكلامْ.
طيرُها محْرُج الجنح لا يستطيع مراوغةً
وهي صافية الضَوء حين يغيبُ التذكّرُ،
واضحةٌ في الكلام.
ولكن تظل الحناجرُ مخدوشةً من نبيذٍ قديم،
أنا احزن حين أرى وجهَها حائراً في التقاطعِ،
أنهي الكَلامَ وأمسكَ في كفّها...،
هكذا الحب في غير موسمهِ.

غصُنٌ خبَّأ خضرتهُ في الحطامْ.
وبقايا التواريخ تخرج للشمس ما بين حين وحينْ...
فتوقُّ العثار بفاجعةٍ! هي خضرتُنا ابتعدتْ
والطيور تواصل رحلتها كمصابيحَ مطفأةٍ
وكأنْ لا تعودْ.
وأرى بشراً يزحفون على وجعٍ.
غادروا صامتين بأسمالهم:
ذلك الجمرُ هذا الرمادْ.
كل وقتٍ له زرعهُ اليانعُ، للهفوات جمالٌ
"هي الهفوات، قالت، واخفت على، ربما أسفٍ، وجهَها.
كل فاصلة رغبةٌ وانكسارٌ. هو الحزنُ حزنٌ
وتلك الطيور استدارت لتكمل دورتها،
ربما انتبهت للمكيدة، حطّتْ على جدولٍ.
ترتوي قبل أن تلتقي بالنهايةِ–
يا لعذوبة باردها السلسبيلْ
أيّة امرأةٍ كل شيء بها كاملٌ، كل شيءٍ جميل!
ذلك آخرُ ما زوّدَتْهُ الحياةُ الضنينة للعابرينَ،
وهمُ يرحلون فرادى ليجتمعوا فوق ذاك الفراغ البعيدِ
وكل على وجهه صخرةٌ تستضيف تواريخَهُ
وتقدم لله خاتمةً تشتكيه،
فهل أحدٌ سيُعير انتباهاً إلى صخرةٍ بين تلك الصخورْ؟
جدول تتماوج أفراحُ فضتهِ معنا إذ نسيرْ
ربما ليودّعنا، ربما هو بعضُ المحبة فيه على حزننا،
ربما ليرى حدَّ ذاك اليباسِ
ويعرف آخر جذر يرفُّ إلى قطرةٍ بقيتْ–
أتذكّر آخر قبلاتها القاتلات عذوبتُها –
تتراجع موجاتهُ، حين نوغل، مكسورةً بالرياح
مهدَّدةً بالصخور النشاز ومنكسرين نرى كلَّ آتٍ يغيبْ:
الشجيرات والماء والأسَلُ الطالع والعزَّلُ المتعبون...
هو هذا الطريق الذي سلكتْهُ البساتينُ–
حبُّك بستاننا الغائب أينع في غير موسمهِ
وسيسلكهُ يوم تهجرنا الشمسُ إلى ابدٍ..
وأنا الآن اسقط قشرا يبيساً عليهِ،
التراب يغيّرُ وجهي ويأكل ما يتساقطُ
كلُّ الطيور اختفت.
قامتي وحدها في الطريق وحبُّكِ أوقفني
فجأة:
"لن تغيبَ! فبستاننا أطلع أزهاره كلَّها
وهو هذا اللقاءُ
الذي ظلَّ يرسمه اللهُ وأكملهُ فجأةً والتقينا
بلا موعد...".
الطريق التوى يلتوي، التوى يلتوي
ابيضاً صلَّبتْهُ الخطى وأنا اتساقط لحماً وخطوا
انا والقصائد والحب والرغبات.
ذلك الطيرُ يلقط حبَّتَهُ
وأنا الآن وحدي على دكةٍ حجرٍ ألقط الحبّة بيضاءَ–
يلتقط الحبّةَ الشيخُ ويمسكُ منضدةً
لا ترِدُ انكسارَ محبتّه ودماراً مخيفاً على روحِه.
وقد امتلأ الآن حُبّاً وحزناً:
يراها المُضيئةَ تجتاز كلَّ القماماتِ كي تصل الوردةَ،
لا وردةٌ في الخرائب. غربتُها توجع الروحَ.
يرنو لها من بعيد ويخجل حين تعودُ
وقد غيّب الدربُ رونقَها والدلالْ –
"لطخةٌ في قميصكِ.... يقطع جملتهُ!
ما يزال على صمته، الكلماتُ مثقّبةٌ تتساقط منها أماناتُه،
الكونُ متّسخٌ حوله.
لا يفارقه وجهُ تلك التي أشعلتْ نارَها،
بعثرَتْ في الطريق حقائقَهُ،
هو ما بين لوعتها وانهيار الكلام المهذّب في عثرة،
أرجفَت سِلْكَ إصغائِه ورأى في الكلام شروخاً تدثّرها:
قصصُ الحبّ ناقصةٌ
ذلك حزن الحياة الذي لا يكفُّ،
حزنُ كل الذين أحبوا وغابوا على عطشٍ.
كلُّ من اذكرُ اليومَ ميتْ.
ما تزال البساتين مكتظّةً في اليمين ومكتظَةً في اليسارْ
وأنا في الممرّ الذي صلّبتْهُ الخطى–
الحبُّ أطلع أفراحَهُ كلَّها.

وهي لي قدّمتْ روحَها، فأنا لست ذاك الذي قبل هذا النهارِ،
ولكنها ندبْةٌ كلما شئت أدنو تدثّرها بالكلامْ.
الطيور اختفت. والحبيبة في الحالتين تخبّئ شرخاً أحسُّ بوخزته:
هي جائحة الحبّ طافَحةٌ كلُّ أشواقها،
فأنا بين حين وحين، أراها تمسّ لذاذةَ ما هي تنكرُهُ...
صارمٌ وجهُها حين تغضبُ
لكنها تهبط السلَّم ناعمةَ الروحِ والحبُّ جاوز طاقتَها.
وهي خجلانة تستدير تعدّل جملتها:
تتواطأ خلف الكلام على نار روحيَ.
اعرفها ندبةً بقيت، كم لهجتُ لأَلمسها ويُعطّلني شرفٌ
لا يريد مساومةً والسموُّ الذي يفرح الله
وهذا الجمال العجَبْ!
ارتضِ الحزنَ في الأرضِ.
وارضَ بهذي الحقيقةِ.
في الأرض يصدأ حتى الذهبْ!
وليبارك حزنَكَ هذا الندى الملكيُّ على جدْبةِ العمرِ،
هذي العذوبةَ في صوتها واليدينْ

أنت في الحالتين تظل تحب وتهلك في البعد عشقاً،
وتهلك في القربِ حيفاً:
هو الحبُّ في غيرِ موسمه!
أجلسُ الآن وحدي على دَكّة حجرٍ
أودعتني بترياقها صيحةً لا تكفُّ
أمسك حنكي بكفيَ مرتجفاً: كيف اخسر كلَّ الذي قد رأيتْ؟
أنا بين كل العبور الكثيرين يصحبني وجهُ غائبة،
أتنفسُ أشذاءها وأضيءُ ببهجتِها. صار هذا الطريقُ
الترابيُّ أجملَ كلِ الدروبِ إلى الله.
أنا آخرَ هذا الطريق وظلَّ بأوّلِهِ سرُّها!
هكذا الحبُّ في غير موسمه
هكذا ينتهي السفرْ
كان قيسٌ ينام على حجرٍ
وأنا الآن أجلسُ وحدي على دكّةٍ حَجَرْ!

قناديل

لطفية الدليمي

رواد بناء الثقافة: اندريه مارلو وثروت عكاشة

عندما سئل الجنرال ديغول عن المغامرة التي أقدم عليها بتعيين الاشتراكيِ والكاتب الروائي والمفكر اندريه مارلو وزيراً للثقافة في وزارة اليمين الديغولي إثر الدمار الذي لحق بفرنسا بعد الاحتلال النازي لها، رد الجنرال ديغول بهدوء وبرود كبيرين "نحن الآن بحاجة ماسة لوجوده، فهو من سيبني المجتمع الفرنسي، لأن الثقافة هي الأساس الصلب في عملية البناء".

(الذي لا يوصف هو ما لا يمكن السكوت عليه) عبارة الروائي الاسباني ووزير الثقافة الراحل خورخي سيمبرون استعرتها هنا للحديث عن تجارب وزارات الثقافة في فرنسا ومصر واسبانيا التي أسهمت في إعادة بناء بلدانها في مراحل التحولات وما لا يمكن السكوت عليه من الفظائع بحق حياة الإنسان وثقافته هو أن تعد الثقافة في بلد اخترع الكتابة أمراً غير سيادي وغير أساسي من قبل الساسة والمشرعين، فالأهمية تعطى في ميزانية العراق للرواتب الخرافية المخصصة للنواب والوزراء والرؤساء كما تمنح ميزانية كبرى للتسلح وبناء الجيش مع أن وفرة السلاح لم تنجح حتى اللحظة في ضمان الأمن الاجتماعي وسلامة المواطن والوطن الثقافة مشروع سيادي مستمر تتزايد أهميته بمرور الزمن أما الوزراء فإنهم متغيرون يعملون على تنفيذ المشروع الثقافي لبلدانهم – ليس عبر الأسابيع الثقافية الهزيلة في الخارج ولا عبر المهرجانات والاحتفالات الموسمية بل بالاهتمام الجاد بتراث البلد وصيانته واحترام المنتج الثقافي لمثقفيه والاعتزاز بآرائهم والتأسيس لمستقبل الثقافة دون خضوع لأمزجة القوى المهيمنة ممن لا يقدرون أن العراق باق وهم متغيرون.

لقد وعى ديغول خطورة دور الثقافة في بناء الوطن وأدرك أن حرب البقاء بين دول العالم المتقدمة هي حرب ثقافية بامتياز وبعده أتى فريدريك ميتران وزير الثقافة الفرنسي في عهد ساركوزي الذي أعاد أمثولة ديغول في جعل الثقافة أساسا لحماية مكانة بلاده وصيانتها من الانتهاك والضياع، فسعى للحصول على اكبر ميزانية للثقافة في تاريخ فرنسا عبر (القرض الكبير) وحقق مشروعه الأهم في الحفاظ على التراث الثقافي الفرنسي من أدب وفنون ومتاحف وتراث موسيقى ومكتبات وأفلام وعمل على (رقمنة) هذا التراث الثقافي الغني وحفظه مستقلا دون أن يجرؤ احد على سرقته أو تدميره..

وفي هذا السياق سأذكر وزير ثقافة مصري بذات الأهمية العالمية هو الدكتور ثروت عكاشة الذي تولى وزارة الثقافة لسنوات طويلة وهو المفكر والكاتب والمترجم الذي اصدر سبعين كتابا ورعى المسرح والسينما والنشر وصدرت في عهده عشرات المجلات الثقافية المتخصصة في المسرح والسينما والتراث والأدب والفن التشكيلي ومن جهوده الوطنية البارزة إنقاذ معبد أبي سنبل الفرعوني بعون من اليونسكو بينما تنهب آثارنا في وضح النهار تحت سمع مؤسسات الدولة المسؤولة أساسا عن حماية تراث العراق الذي لا مثيل له إلا إذا كانت هذه المؤسسات لا تحترم التراث السومري والبابلي والآشوري لأنه لا يناسب توجهاتها فهو تراث حافل بإبداعات الشعر والملاحم والموسيقى والفن التشكيلي ونظريات الفلك والرياضيات التي سبقت نظريات علماء اليونان.

لقد وضع ديغول ومارلو قضية الثقافة كأساس لإعادة بناء المجتمع الفرنسي بعد الاحتلال وفعل ثروت عكاشة الأمر ذاته في مصر ومع هؤلاء المؤسسين يقف الروائي الاسباني الراحل خورخي سيمبرون وزير الثقافة السابق الذي يعده مفكرو العالم الإنسانيون إلى جانب ارنستو ساباتو وادواردو غاليانو في مقدمة المثقفين المناضلين من أجل الحرية وكرامة الإنسان في زمن انتهاك ثقافة الشعوب وتدمير تراثها ونهبه ولي عودة للحديث عن خورخي سيمبرون.

متابعة

بالشعر والموسيقى والغناء

اتحاد الأدباء يحتفي بشاعر الإسكندرية ستار زكم

بغداد/نورا خالد

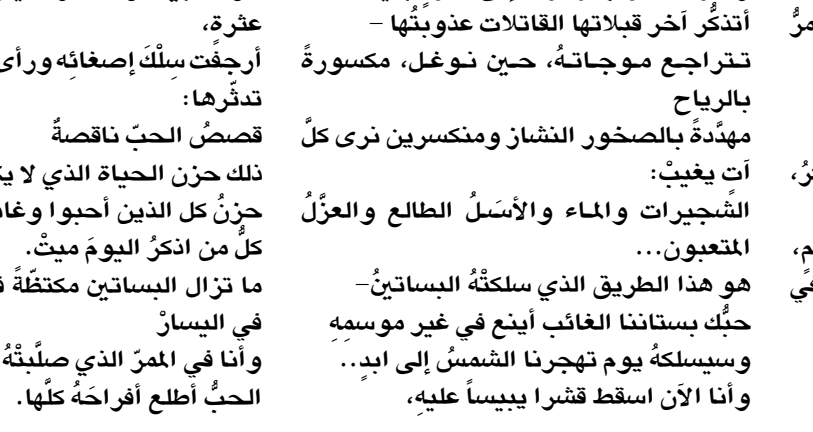

جلسة لا تشبه غيرها من الجلسات، اذ اختلط الشعر مع الموسيقى والغناء على قاعة الجواهري، في الفعالية التي اقامها نادي الشعر بالاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين، احتفاءً بالشاعر البابلي ستار زكم، وتخلل الحفل عزف عود وغناء للفنان طلال علي، أدار الجلسة الشاعر حبيب النورس الذي بين ان المحتفى به امتهن الاعلام وابدع كما الشعر، واشار خلال تقديمه نبذة عن الشاعر الى انه أصدر مجموعة بعنوان "يدي كانت الأبدية" عام ٢٠٠١، وله مجموعة بعنوان "مدافن الرغبة"، لم تطبع الى الان، يعمل حاليا معدّا للبرامج الثقافية في قناة الحرية الفضائية.

مدينة يكثر فيها الشعراء
كغابة محتشدة
لا يدخلها الا الراسخون في الفقر

بهذه الأبيات الشعرية ابتدأ الشاعر ستار زكم حديثه عن مدينته الاسكندرية التي شهدت بداياته الأولى في كتابة الشعر، واضاف: بداياتي كانت كالآخرين شبه متعثرة وغير منتظمة خاصة على مستوى القراءة حتى قرأت للشاعر أدونيس الذي اصبح في ما بعد الاب الروحي بالنسبة لي، ووجدت منه منطلقا لكتابتي وتأثرت به كثيراً حتى انتميت الى منتدى الاسكندرية الادبي الذي شكل لدي نقطة انطلاق، استطيع ان اسميها هامة في حياتي الثقافية، اذ من خلال الاحتكاك بالعديد من الشعراء والمثقفين توج هذا التناقح الثقافي الشعري في ما بيننا بمجموعتي الشعرية الاولى، نشرت اولى اشعاري في جريدة الجمهورية بمساعدة الشاعر عبد الزهرة زكي، رئيس القسم الثقافي بالجريدة انذاك، واشار زكم الى ان المفصل المهم في حياته بعد عام ٢٠٠٣ هو دخوله الوسط الاعلامي بعد ان نشر عمودا في جريدة الصباح وبذلك كان اول اديب بابلي ينشر في جريدة الصباح، وبعدها تحدث زكم عن تجربته في اعداد البرامج الثقافية في فضائية الحرية.

الروائي احمد خلف اشار الى ان اتحاد الادباء يقيم جلسات تكاد تكون استثنائية لعدد من الشعراء والقاصين الذين يبدعون نصاً شعريا او قصصيا او روائيا، واضاف: هناك وجهة نظر تقول ليس من حق الروائي والقاص ان يتحدث عن الشاعر، الا ان المدارس النقدية الحديثة أستطاعت ان تلغي هذه الفاصلة الخطيرة التي تعيق الكاتب ان يتحدث عن زميله الشاعر والقاص والمسرحي وحتى التشكيلي، فهناك تداخل في الثقافة يسمح للشاعر بأن يتحدث الصحفي والصحفي يتحدث عن القاص، وتابع خلف: امتازت هذه الجلسة التي خصصت للشاعر والاعلامي ستار الزكم بانها احدى الجلسات التي طفحت فيها الثقافة وطفح فيها الشعر واللمسة الانسانية والثقافية، وهي جلسة تداخل فيها ما هو شعري وانساني وثقافي عام، ستدفع الشاعر الى ان يتقدم خطوة الى الأمام لأنه وجد ارضاً خصبة ليتحدث ويلقي الشعر عليها.

الشاعر ركن الدين يونس وصف ستار زكم بانه شاعر مثابر حاول ان يلحق بركب شعراء الاسكندرية المغايرين دائما والمجدين دائما، فاقترح على نفسه منهجا خاصا لقراءة كل ما يحيط به من نتاجات زملائه، ومن نتاجات الادباء العرب والعراقيين ، واضاف يونس: فوجئت ذات يوم بنشره نصا جميلا وهائلا وصفقت له ولم اكن اجد فيه مشروع شاعر الا انه اقنعني في نهاية المطاف بانه شاعر مهم ويجب ان يقرأ بدقة.

"ستار زكم ينتمي لجيل الحداثة" هذا ما قاله الشاعر حسين السلطاني عن صديقه المحتفى به، واضاف: هو ليس من الشعراء الصعاليك الذين اثاروا لغطاً كبيرا في داخل فضاء الثقافة العراقية لكنه جاء لاحقا لهذه التجربة واستطاع ان يؤسس له اسما هذا الاسم الشعري الذي اتسم بحداثة التجربة، فهو شاعر هادئ ولا يوجد في شعره صخب، لذلك استطاع ان يؤشر اسمه بهدوء.

وستار زكم، شاعر عراقي من مواليد بغداد ١٩٦٧، عضو الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق، ونائب رئيس منتدى الإسكندرية الأدبي، شارك في العديد من المهرجانات الشعرية، نشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات العراقية.